بسم الله الرحمن الرحيم

فهذا تعليقي على الاصدار الاخير لمؤسسة سحاب واعلان الشيخ ايمن الظواهري انشاء فرع جديد في شبه القارة الهندية

القاعدة كجماعة تعاني من مجموعة اشكاليات كبيرة متمثلة بالارث الذي حملتها من منهج من سبقوها في فهم مجموعة من المسائل الشرعية والسياسة والتاريخية التي لا زالت تتخبط فيها كتخبط من سبقها في العمل الاسلامي على مدى قرن من الزمان دون القبول باصلاحات منهجية في الفهم كحال اخواتها من التنظيمات المتخبطة شرعيا وسياسيا

منذ بداية انشاء الفروع للقاعدة اتضح ان القوم عندهم مجموعة من الاشكاليات الشرعية في مفهوم الامامة والبيعة والامارة. فلا يوجد مفهوم منضبط شرعا عند القوم في مفهوم البيعة وطبيعتها وحدودها وهذا يتضح جليا عندما تسمع صيغة البيعة من امراء الافرع للشيخ اسامة ومن بعده للشيخ ايمن فهي صيغة بيعة امامة كبرى بينما تسمع عن بيعاتهم للملا عمر صيغة عامة مثل اميرنا ونبايعه دون التفصيل في نوعية البيعة.

ان مما لا شك فيه عند القوم انهم مبايعين للملا عمر بيعة امامة كبرى اي انه لا يجوز خلع بيعتهم الا بوجود ما ينقض شروط البيعة الكبرى المعروفة عند العلماء سواء من عدم اهلية المبايع سواء كانت اسباب تتعلق بالقدرة وسلامة الاعضاء اوالعقل او قادح في دينه مثل الكفر وعليه فان القوم ملزمين بطاعة امامهم ما لم يأمرهم بمعصية. وهنا تأتي تصرفات القوم الغريبة العجيبة القادحة في عدالتهم فهم اولا فتحوا مجموعة افرع وهذا ما يخالف صريح ما يقوله امامهم ويعلن عنه في كل محفل بانه لا يتدخل في اي دولة اخرى وانه معني فقط في افغانستان ويريد الحرية للشعب الافغاني فعلى اي اساس تخرج القاعدة عن أوامر واستراتيجية العمل لمن بايعته بيعة امامة عظمى ثم لا تكفيها هذا بل وتفتح افرع لها في مناطق اخرى اخرها في شبه القارة الهندية

لكي نفهم كل هذه الاشكاليات والتناقضات في استراتيجية القاعدة وكلام الشيخ ايمن الظواهري علينا ان نرجع الى الوراء قليلا. فعند ظهور النصرة في الساحة الشامية فوجئ كثير من الانصار بهذه الخطوة وخصوصا من المقلدين والمتعصبين لاستراتيجية القاعدة في التعامل مع الثورات العربية بعد ان اتت الاوامر من القيادة للانصار بمجموعة من القواعد في العمل الاعلامي للحد من مواجهات اعلامية مع القوى الاسلامية العاملة في بلدان الربيع مما تسبب في انشقاق اولي في دائرة الانصار فاصبح كل من يعارض سياسة القاعدة في عملها وانخراطها في القوى الثورية (الاسلامية) وعدم المفاصلة والتمايز بين اهل المنهج وبين غيرهم منبذوا ومجروح ومخالف لسياسة المجاهدين كليا جملة وتفصيلا لذلك كان اعلان النصرة في سوريا امرا لا يستوعبه الا خاصة الخاصة من الانصار لانه بباسطة حطم قاعدة العمل المتبعة من القاعدة في التعامل مع الربيع العربي الذي سرعان ما تحول الى خريف على من كان مخالفا للمنهج الشرعي بسبب الظهور القوي للتيار الجهادي جناح الدولة ومن بعده دخول الدولة بكل ثقلها في الساحة الشامية.

بعد كلمة الشيخ ابو بكر البغدادي بدمج النصرة مع الدولة والعمل تحت اسم الدولة الاسلامية في العراق والشام ورفض الجولاني لهذا الامر وعملية التحكيم الفاشلة التي اعتلاها الشيخ ايمن ونشر كلمة لامير كتائب عبدالله عزام بدأت الامور تتضح اكثر عند عامة الانصار وان الموضوع ليس مجرد اشكاليات العمل البسيطة التي ممكن احتواءها في حالة توافق المنهج ولكن الموضوع اختلاف جذري في قضايا شرعية لها علاقة بالكفر والايمان والتمايز والمفاصلة وما يترتب على هذه الامور من احكام القتال ويبدو ان الشيخ ايمن بعد الربيع العربي حاله كحال جل قيادات القاعدة لم يعودوا يرون تحمل تبعات منهج الدولة الاصولي في التعامل مع الاحداث والاحكام وخصوصا بعد فتح قنوات كثيرة بين القاعدة والقوى الاسلامية الاخرى في ليبيا ومصر وتونس وها هي الفرصة التاريخية للقوم اتت لهم في سوريا متمثلة بجبهة النصرة والسمعة الحسنة التي اكتسبتها فعليه قررت القيادة العليا في القاعدة استبدال الدولة بالنصرة والقوى الاسلامية من مشارب شتى على تيار (متشدد) (متقوقع على نفسه) فكان قرار الشيخ ايمن بحل الاندماج بين النصرة والدولة انما هو تمهيد للتخلص من الدولة وحصرها في دائرة العراق حتى اذا وصل الامر الى نصابه استبدلت بجماعة انصار الاسلام صاحبة السمعة الطيبة والجذور العميقة والتزكية من العلماء.

ما حصل بعد ذلك من احداث كان امرا متوقعا ليس فيه كثير من الصعوبة لفهمه فمن الطبيعي ان تختلف النصرة والدولة ويبدأ القتال تدريجيا

بين الدولة والفصائل فاذا عرف مشرب تلك الفصائل كان فهم خطواتها القادمة حسب المستجدات امرا ليس بتلك الصعوبة وكذلك من دخول القاعدة في شيطنة الدولة فبعد كذب الشيخ ايمن والمرأ يخجل ان يقول هذا الكلام على رجل بمكانة الشيخ وتاريخيه ولكن الحق لا يجامل احدا لماضيه ومكانته فالرجل بعد كذبه في تمثيلية فاشلة مملة للرد على اسألة الشيخ هاني السباعي وادعاءه بان الدولة جزء من القاعدة وان البيعة لها ولاميرها من قبل الشيخ ابو بكر دون تفصيل وتبيين نوعية هذه البيعة وكشف رسائل سرية بين الطرفين وصل الى نقطة صعبة له ولجماعته في التنافس الكبير على شرعية القيادة بينها وبين الدولة واثبات القدرة على هذه القيادة التي سرعان ما ستكون عبئا اكثر منه شرفا ومرجعية لان شباب الانصار لم يعد طموحهم قاصرا على النفير الى الجبال والقتال او عملية استشهادية فهناك آلاف من الشباب المسلم هاجروا من عشرات البلدان مع عوائلهم فمن هنا كان التحدي الحقيقي للقاعدة ليس فقط انتزاع الشرعية من الدولة انما في القدرة على البقاء كتنظيم فعال ومن هنا اتت القاعدة بمجموعة اخرى من الامور التي سرعان ما ستسرع في اسقاطها كليا اذا بقى الحال على ما هو عليه الا اللهم اذا استطاعت امريكا ان تسقط الدولة عسكريا وشرعيا وامنيا والقاعدة على ما يبدو للمتابع تعول على هذا وهي تهيء نفسها لاخذ زمام الامور بعد سقوط الدولة في حرب اكبر بكثير من قدراتها العسكرية والامنية من جهة وكذلك تجفيف مصادر شرعية الهجرة اليها فكانت خطوة انشاء واعلان فرع جديد للقاعدة في شبه القارة الهندية

لم تكن القاعدة في يوم من الايام بمنأى عن وسط وشرق اسيا فالحزب الاسلامي التركستاني كانت يعمل تحت جناحها قبل غزو الامريكان لافغانستان كما ان القاعدة كونت علاقات عميقة مع كثير من العاملين في الساحة الشرقية الممتدة من ايران وافغانستان مرورا بباكستان وكشمير والهند وصولا الى تركستان شمالا واندونيسيا جنوبا فلماذا تقوم القاعدة بالاعلان عن فرع لها الان بالذات في الوقت الذي لم يصدر لها تعليق على احداث غزة الاخيرة ولا على الحملة الامريكية والحلف الغربي والذي يتوقع منه بان يكون الاشرس منذ عقود؟

استراتيجية القاعدة منذ ما يقارب العقدين استراتيجية مرحلية بحيث انها تعمل بطريقة قد لا تؤدي الى اي نتيجية على المدى القريب ولكن قد تعطي نتائج مذهلة ومكاسب خيالية على المدى البعيد وقد لا نبالغ لو نقول المتوسط ايضا مثل ما حصل في احداث سبتبمر فظاهر هذه الحادثة بانها اعدام للجماعة ولكل من يقترب منها ولم يكن بوش مجازفا عندما قال من ليس معنا فهو ضدنا اي لا مكان للحياد في هذا الحرب لانه كان يعلم ان القاعدة في ظروفها في تلك الحقبة لم تكن قادرة على ان تواجه دولة بسيطة الامكانيات من دول اوربا ناهيك عن دول عظمى بل اعظمها على الاطلاق مثل امريكا ولكن مشكلة الامريكان كانت تكمن في نظرتهم السطحية للحرب وعلى انها مجرد حرب مكاسب وتجارة دون النظر الى الافق البعيد مثل ما كانت تعمل خصمهم عندما جرتهم الى حرب لا خروج منه واستنزاف لا قدرة لها على انهاءه فكانت قوة القاعدة تبرز شيئا فشيئا لانها كانت تقرأ الواقع قرآءة مختلفة عن قرآءة خصومها سواء من الغرب او علمانيي العرب او اسلامييها بكافة شرائحها ومشاربها المتعددة فقد هيئت نفسها لهذا الحرب فلم يمضي من الوقت سنوات طويلة حتى كونت القاعدة اقوى امارتين اسلاميتين دولة العراق الاسلامية والشباب في الصومال حيث سيطروا على مقديشو باستثناء منطقة القصر والميناء والمطار.

وهكذا هي تعمل اليوم فهي تعلم ان شعاراتها بكسر الحدود وخلافة على منهاج النبوة وتطبيق الشريعة في الهند والبلاد الاخرى امر مستحيل في الوقت الحالي الا ان تطلعاتها وقرآءتها للمستقبل كانت كفيلة بان تقنعها بالمضي نحو هذه الخطوة المرحلية في تاريخها.

فكيف تنظر القاعدة الى الاحداث الحالية ومصير الدولة وخياراتها في البقاء وانشاء بديل للدولة وعلاقتها الحقيقية بالامارة الاسلامية في افغانستان ووضع فروعها في المغرب الاسلامي واليمن والشام كذلك هذا ما سنحاول ان نجيب عليه ان شاء الله في المقالة التالية